الغلو

الغلو لغة: الارتفاع ومجاوزة الحد في الأمر. يقال: غلا السّعر يغلو غلاء، وذلك ارتفاعه، وغلا الرّجل في الأمر غلوّا إذا جاوز حدّه.

واصطلاحا:

عرفه الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى بقوله" :الغلو: هو المبالغة في الأمر ومجاوزة الحد فيه إلى حيز الإسراف".

الآيات الواردة في «الغلو»

١- قال تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} (النساء/ ١٧١) قال القرطبيّ: المراد غلوّ اليهود في عيسى حتّى قذفوا مريم، وغلوّ النّصارى فيه حتّى جعلوه إلها.

٢- ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢]؛ أي الزم أنت ومن معك من المؤمنين طريق الاستقامة على الحق، وداوموا على ذلك كما أمركم الله، بدون إفراط أو تفريط، واحذروا ان تتجاوزوا حدود الاعتدال في كل أقوالكم وأعمالكم. فالشرع لم يُوكل إلى عقولنا، ولا إلى أهوائنا؛ ولا إلى اجتهاداتنا، بل اتباع لما جاء في الكتاب والسنة وكفى؛ وفهمهما الفهمَ الصحيح؛ فهم الصحابة والسلف الصالح.

الأحاديث الواردة في ذمّ (الغلو)

* (عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «هلك المتنطّعون قالها ثلاثا»).

المتنطعون: المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

* (عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- سمع عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- يقول على المنبر سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول: «لا تطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم، فإنّما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»).

* (عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- قال: قال لي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غداة العقبة وهو على راحلته: «هات القط لي فلقطت له حصيات هنّ حصى الخذف فلمّا وضعتهنّ في يده، قال: «بأمثال هؤلاء وإيّاكم والغلوّ في الدّين، فإنّما أهلك من كان قبلكم الغلوّ في الدّين»).

الخذف أي حصاة صغيرة تمسكها بالسبابة والإبهام .

* (عن عبد الله بن مغفّل- رضي الله عنه- أنّه سمع ابنه يقول: اللهمّ إنّي أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنّة إذا دخلتها، فقال: أي بنيّ، سل الله الجنّة، وتعوّذ به من النّار؛ فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «إنّه سيكون في هذه الأمّة قوم يَعْتَدُونَ في الطّهور والدّعاء»).

وهذان مظهران من مظاهر الغلو في الدين .

ومن مظاهر الغلو أيضا :

من يتأمّل الآيات والأحاديث الواردة في الغلوّ يجد أنّ الغلوّ له مظاهر كثيرة:

الأوّل: الغلوّ في الدّين وله صور متعددة:

@ منها الغلو بمخالفة اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والقرون المفضلة كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ

وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» وفي رواية قال: "ما أنا عليه وأصحابي".

وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسول –صلى الله عليه وسلم– وهو الصادق المصدوق من الافتراق, وتفاقم الأمر وعظم الشقاق فاشتد الاختلاف ونجمت البدع والنفاق.

فافترقوا في أسماء الله تعالى وصفاته إلى نفاة معطلة وغلاة ممثلة.

وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة.

وفي باب أفعال الله وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية نفاة.

وفي أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة, إلى غير ذلك من فرق الضلال وطوائف البدع والانتحال وكل طائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فرقا وتشعبت طرقا, وكل فرقة تكفر صاحبتها وتزعم أنها هي الفرقة الناجية المنصورة".

@ التشدد في العبادة:

@ (عن أنس بن مالك– رضي الله عنه– قال: دخل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فإذا حبل ممدود بين السّاريتين. فقال: ما هذا الحبل؟» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلّقت. فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «حلّوه، ليصلّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد») .

@ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

* (عن أبي جحيفة السّوائيّ وهب بن عبد الله– رضي الله عنه– أنّه قال: آخى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين سلمان وأبي الدّرداء، فزار سلمان أبا الدّرداء فرأى أمّ الدّرداء متبذّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدّرداء ليس له حاجة في الدّنيا. فجاء أبو الدّرداء، فصنع له طعاما. فقال له: كل. قال: فإنّي صائم، قال: ما أنا بآكل حتّى تأكل. قال: فأكل، فلمّا كان اللّيل ذهب أبو الدّرداء يقوم، قال: نم، فنام. ثمّ ذهب يقوم. فقال: نم. فلمّا كان من آخر اللّيل قال سلمان: قم الآن، فصلّيا. فقال له سلمان: إنّ لربّك عليك حقّا، ولنفسك عليك حقّا، ولأهلك عليك حقّا، فأعط كلّ ذي حقّ حقّه. فأتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فذكر ذلك له، فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «صدق سلمان».

* (عن أنس– رضي الله عنه– أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى شيخا يهادى بين ابنيه قال: «ما بال هذا؟» قالوا: نذر أن يمشي. قال: «إنّ الله عن تعذيب هذا نفسه لغنيّ. وأمره أن يركب»).

–* (عن ابن عبّاس– رضي الله عنهما– قال: بينا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظلّ ولا يتكلّم ويصوم، فقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: مره فليتكلّم، وليستظلّ، وليقعد، وليتمّ صومه»)

الثّاني: الغلوّ في القرآن الكريم، وذلك يكون بأمور:

*هجره وعدم تلاوته وعدم العمل به .

@ ابن مسعود قال :لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ، كَهَذِّ الشِّعْرِ، [والهَذُّ شدَّةُ الإسْراعِ والإفْراطِ في العَجلةِ، أي: هلْ تَقرَأُ القرآنَ مُسرِعًا غيرَ مُتدبِّرٍ كأنَّكَ تَقرأُ شِعرًا] وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ،[الدَّقَل هو رديء التمرالمراد النهي عن القراءة دون تفكر وتدبر] وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ

والقصد من هذا الأثر وغيره مما ورد عن السلف الصالح، الحث على تدبر القرآن الكريم، وقراءته بتؤدة وتدبر، وعدم هذّه بسرعة زائدة، ولا يكن همّ القارئ هو الانتهاء من السورة، أو قراءة أكبر كمية على حساب الكيف.

@ قراءته على المقامات والسلم الموسيقي.

@ التمطيط بمجاوزة الحدّ في قراءته بالتّطويل والتّطريح والتّشدّق، والخروج والتّأويل المبالغ فيه.

- الغلو في الصالحين:

وقد غلا اليهود في عزير نبي الله، وغلت النصارى في المسيح عيسى عليه السلام :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾]التوبة: ٣٠.[

وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغلو في مدحه، والمبالغة في إطرائه، قال عليه الصلاة والسلام: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله.

وإذا كان هذا في حقِّه عليه الصلاة والسلام فكيف بغيره من الناس ممن هو دونه؟! وهؤلاء الناس الذين يفزعون عند الشدائد إلى دعاء الصالحين والرغبة إليهم، فقد أشركوا بالله العظيم :﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ *إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾]فاطر: ١٣، ١٤.[

@ رَفعُ قُبورِ الصَّالِحِين والعُظَماءِ، وبناءُ المَشاهِدِ عليها:

عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عنها: أنَّ أمَّ سَلَمةَ رَضِيَ اللهُ عنها ذكَرَت لرَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كنيسةً رَأَتْها بأرضِ الحَبَشةِ يقالُ لها: ماريَةُ، فذكَرَت له ما رَأَت فيها من الصُّوَرِ، فقال رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم)) :أولئك قومٌ إذا مات فيهم العَبدُ الصَّالحُ أو الرَّجُلُ الصَّالحُ بَنَوا على قَبْرِه مَسجِدًا، وصَوَّروا فيه تلك الصُّوَرَ، أولئك شِرارُ الخَلْقِ عندَ اللهِ .((فجَمَع في هذا الحديثِ بين التماثيلِ والقُبورِ(

عن أبي الهَيَّاجِ الأسديِّ قال: قالَ لي عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ: (أَلَا أَبْعَثُكَ علَى ما بَعَثَنِي عليه رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم؟ أَلَّا تَدَعَ تِمْثَالًا إلَّا قطعت رأسه، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إلَّا سَوَّيْتَه.) .

@@ محبته صلى الله عليه وسلم

وقد انقسم الناس في فهمهم لهذه المحبة إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: أهل الإفراط.

القسم الثاني: أهل التفريط.

القسم الثالث: الذين توسطوا بين الإفراط والتفريط.

أما أصحاب القسم الأول: فهم الذين بالغوا في محبته بابتداعهم أمورا لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ظنا منهم أن فعل هذه الأمور هو علامة المحبة وبرهانها.

ومن تلك الأمور احتفالهم بمولده، ومبالغتهم في مدحه وإيصاله إلى أمور لا تنبغي إلا لله تعالى ومن ذلك قول قائلهم:

فَانَّ مِنْ جوْدِكَ الدنْيَا وَضَرتَهَا *** وَمِنْ عُلُوْمِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ

فإذا كانت الدنيا والآخرة من جود الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن بعض علومه علم اللوح والقلم لأن "من" للتبعيض، فماذا للخالق جل وعلا؟

إضافة إلى صرف بعض أنواع العبادة له كالدعاء والتوسل والاستشفاع والحلف به والطواف والتمسح بالحجرة التي فيها قبره صلى الله عليه وسلم إلى غير ذلك من البدعيَّات والشركيَّات التي تفعل بدعوى المحبة للرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أمور لم يشرعها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يفعلها الصحابة رضوان الله عليهم الذين.

وهؤلاء مخالفون لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الإطراء فيه.

أما أصحاب القسم الثاني: فهم أهل التفريط الذين قصروا في تحقيق هذا المقام فلم يراعوا حقه صلى الله عليه وسلم في وجوب تقديم محبته على محبة النفس والأهل والمال. كما لم يراعوا ماله من حقوق أخرى كتعزيره وتوقيره وإجلاله وطاعته واتباع سنته والصلاة والسلام عليه إلى غير ذلك من الحقوق العظيمة الواجبة له. والسبب في ذلك يعود إلى إحدى الأمور التالية أو إليها جميعا وهي:

أولا: إعراض هؤلاء عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وعن اتباع شرعه بسبب ما هم عليه من المعاصي، وإسرافهم في تقديم شهوات أنفسهم وأهوائهم على ما جاء في الشرع من الأوامر والنواهي.

كما قال الشافعي عن محبة الله:

تَعصي الإِلَهَ وَأَنتَ تُظهِرُ حُبَّهُ *** هَذا مَحالٌ في القِياسِ بَديعُ

لَو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لَأَطَعتَهُ *** إِنَّ المُحِبَّ لِمَن يُحِبُّ مُطيعُ

في كُلِّ يَومٍ يَبتَديكَ بِنِعمَةٍ *** مِنهُ وَأَنتَ لِشُكرِ ذاكَ مُضيعُ

ثانيا: اعتقاد الكثير أن مجرد التصديق يكفي في تحقيق الإيمان، وأن هذا هو القدر الواجب عليهم، ولذا تراهم يكتفون بالتصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، دون تحقيق المتابعة له، وهذا هو حال أهل الإرجاء الذين يؤخرون العمل عن مسمى الإيمان ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، أو تصديق القلب وإقرار اللسان وما أكثرهم في زماننا هذا.

ثالثا: جهل الكثير منهم بأمور دينهم بما فيها الحقوق الواجبة له صلى الله عليه وسلم، والتي من ضمنها محبته صلى الله عليه وسلم فكثير من الناس – ولا حول ولا قوة إلا بالله – ليس لهم من الإسلام إلا اسمه وليس لهم من الدين إلا رسمه.

أما القسم الثالث: فهم الذين توسطوا بين الطرفين السابقين أهل الإفراط وأهل التفريط. فأصحاب هذا القسم هم السلف من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكما وقاموا بمقتضاها اعتقادا وقولا وعملا. فأحبوا النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة النفس والولد والأهل وجميع الخلق امتثالا لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فجعلوه أولى بهم من أنفسهم تصديقا لقوله تعالى {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ} ، وأيقنوا بوجوب أن يوقى بالأنفس والأموال طاعة لقوله تعالى {مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} .

قال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}

من مضار (الغلو)

(١) مبعد عن الله، وموجب للنّار.

(٢) الانقطاع عن العمل، وعدم المداومة عليه.

(٣) دليل ضعف العقل، ومدخل لتسلّط الشّيطان.

(٤) دليل الجهل، وقلّة الفهم.

(٥) يورث الوسواس.

(٦) ضيق النّفس ودوام الحزن.